القطارات. كذلك عليهم ألا ينتظروا طويلاً في محطات الحافلات لقدومها، إضافةً إلى أنه جرى التشديد عليهم بمنع التواصل عبر «واتس آب» ونقل أخبار العمليات كي لا يساهموا في حالة البلبلة. ولا تزال شرطة الاحتلال تتلقى آلاف الاتصالات يومياً، فحواها الاشتباه في أحد أو في حقيبة ما على الطريق. كذلك تزايدت نسبة شراء الإسرائيليين للسلاح الشخصي أو الرشاشات، وصلت إلى 500%، ونحو ثلاثة أرباع هذه النسبة في القدس، فيما أعرب 73 في المئة من الإسرائيليين عن أنهم يشعرون بأنهم غير آمنين.

إن ما يحدث ليس جديداً، لكن هذه البقعة الفلسطينية بالتحديد غابت بتقليص المدة الزمنية الفاصلة لتدمير منازل المشاركين في العمليات بدءاً من لحظة التنفيذ، بجانب إمكانية حرمان عائلة المقاومين المشاركين في العمليات، السكن في القدس، وسحب جنسيتهم إن كانوا من حملة الجنسية الإسرائيلية.

كذلك، ذكر موقع القناة العاشرة أن هذه القرارات جاءت بناءً على المشاورات الطارئة التي حضرها «قائمقام الشرطة، ومسؤولون رفيعو المستوى من الأجهزة الأمنية». وهؤلاء قدموا للمستوى السياسي خططاً لمواجهة الوضع القائم.

وسط ذلك، لم تنته الانتقادات التي توجهها الصحافة الإسرائيلية إلى نتنياهو. وقد كتب يوسي فورتر، في «هآرتس»، متسائلاً عمّا «يبقى لزعيم اعتاد الثرثرة بأنه خلال سنوات حكمه الكثيرة، وبفضل سياسته، اختفت العمليات من المشهد، والآن، لسخرية القدر، كتب عليه الوقوف أمام ممثلي الشعب وإلقاء خطاب على مسافة كيلومترات معدودة من حلبة الإرهاب غير المتوقف». وأضاف: «عندما يكون كل شيء حميداً، ينسب نتنياهو ذلك إلى سياسته، وعندما ينهار كل شيء، يتهم الجناح الشمالي (للحركة الإسلامية) وحنين زعبي وباسل غطاس».

أما عاموس هرئيل، فكتب في «هآرتس»: «أكثر من نصف هذه العمليات (الطعن) وقع في القدس، وبروفايل (سيرة) الطاعنين يصبح اكثر وضوحاً. كلهم، تقريباً من الشبان الصغار، بينهم أربع نساء، وكلهم ليست لديهم سوابق أمنية». وقال محرضاً: «هناك عامل مشترك آخر لغالبيتهم: إنهم سكان القدس الشرقية ويحملون الهويات الزرقاء التي تسمح لهم بالتحرك بحرية شبه تامة بين أجزاء المدينة».

(الأخبار)

عن مشهد الرصاص والقنابل المسيلة للدموع منذ 15 عاماً. ما الذي أعاد الشريط إلى عام 2000 هذه المرة إذاً؟ الشباب والناشطون الفلسطينيون يقولون إن لا أحد يحركهم، لا أحزاب ولا قادة سياسيين ولا رؤساء بلديات، بل هؤلاء القادة السياسيون لعبوا دوراً في لجم الشبان عام 2000. يفعلون ذلك اليوم أيضاً، فهم يتلقون اتصالات من رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس، يدعوهم فيها إلى التهدئة واحتواء المشهد قبل الانفجار الكبير المرتقب.

أمس، تعرض أبناء سخنين لكمين، وذلك بعدما توجهوا للاعتصام على مفترق مسغاف، فوجدوا أن البلدية قد استأجرت رجالاً يتبعون لشركة أمن خاصة بهدف صدّهم وتفريقهم. هذه الخطوة أجبرت المعتصمين على العودة إلى داخل القرية تلافياً لوقوع صدام واشتباك مع أمن الشركة الخاصة. يقول الناشطون إن «جرقتهم» على أبناء القدس ومشاهد الإعدامات الميدانية هناك، هي وحدها ما دفعهم إلى التفكير بأن عليهم أن يفعلوا شيئاً ما، فهم لمْ يعودوا بمنأى عما يجري، والرصاص الذي انطلق من بنادق الجنود الإسرائيليين في محطة الحافلات في العفولة باتجاه شابة محجبة من الناصرة، يمكن أن يتجه إليهم في أي لحظة بسبب ملامحهم العربية.

في كفر مندا (الجليل الأسفل)، أغلق الشبان الشارع الرئيسي بالإطارات المشتعلة. حضرت جيبات الجيش الإسرائيلي إلى المكان، ومن الفور، بدأ الجنود بإطلاق وابل من قنابل الغاز والرصاص المطاطي، فردّ الشبان برشقهم بالحجارة. مشهد تكرر للمرة الأولى في طمرة، وحيفا، ويافا، وأم الفحم والطيبة وغيرها، منذ عام 2000. الأخوان عبيدة ومحمد بشناق يرويان لـ«الأخبار» حادثة اعتقالهما من مكان تظاهرة كفر مندا. يقولان: «هاجمنا الجنود، أمسكوا بنا، وبدأوا بركلنا وضربنا بكعاب البنادق. لا تزال آثار الضربات على أجسادنا. كانوا يشتموننا ويتهموننا بالإرهاب، ثم كبلوا أيدينا واقتادونا إلى مركز التحقيق، ومعنا إيهاب زيدان ومحمود زعرور وهما قيد الاعتقال حتى اللحظة».

يرى يحيى أن أحداً لم ينجح في معرفة توقيت الانفجار، وأن ما أجبر الناس على التحرك في المناطق، هو الدفاع عن وجودهم، بعدما شعروا بالخطر الذي بات يهدد حياتهم ومصالحهم، لذلك، فإنه «إذا استمر الوضع على هذا النحو، فلن تستطيع القيادات السياسية ولا الأحزاب جر الشارع إلى التهدئة».

ـدس

وجهة نظر

«حرب استباقية» ضد جيل نجا من التدجين

معز كراجة

لو كتبت هذه السطور قبل أيام قليلة لكانت مقدمتها مختلفة، ولكان يجب أن نركز على استشراف مستقبل هذه الانتفاضة في فلسطين، ومستقبل المواقف المختلفة منها. لكن موجة الإعدامات البطيئة بحق الأطفال في القدس، والرقصة السادية حول الطفل أحمد مناصرة وهو يصارع الموت، وتصوير ذلك وتسهيل نشره، قد أوضح الصورة وجعل مستقبل الانتفاضة والمواقف منها واقعاً، وأعاد تركيب المشهد، كما فرض جملة اعتبارات جديدة، وفرض كلمة خاصة بحق هذا الجسم الهلامي المسمى «السلطة الفلسطينية»، وبحق بقية التركيبة الفلسطينية الحزبية التي أصابها عفن أوسلو بلا استثناء.

هذه الإعدامات بحق الأطفال، والفتيان تحديداً، لا تعبّر عن مجرد حقد ومحاولة قمع لانتفاضة سلاحها الحجر وما تيسر في المنزل من أدوات، بل هي سياسة مدروسة ومتعمدة اتخذت بعد أن تابعت الحكومة الإسرائيلية الأحداث في الأيام العشرة الأخيرة وخرجت باستنتاجاتها. هذه الحكومة حتى الأمس القريب ظنت أن انطلاق انتفاضة ثالثة شاملة تربط الضفة المحتلة بقطاع غزة وبالداخل الفلسطيني احتمال صعب وبعيد. بل إن بنيامين نتنياهو بدأ يقدم نفسه إلى جمهوره وهو مطمئن إلى أنه الذي استطاع أخيراً تطبيق فكرة «السلام الاقتصادي»، على اعتبار أن هناك «استقراراً أمنياً» لم يسبق له مثيل، رغم استمرار الاستيطان وتعطيل ما يسمى «عملية السلام».

> هذا التحرك يمكن وصفه بـ«الجنون الجميل» الذي يصنع المعجزات

هي الطمأنينة التي عبّر عنها تصاعد عمليات المستوطنين بالقتل والحرق والإهانة للفلسطينيين دون خشية من رد فعل مقابل، وعبّرت عنها المحاولة الجدية لتقسيم المسجد الأقصى زمنياً ومكانياً.

وقيادة السلطة نفسها كانت تشارك العدو هذا الاعتقاد. فمحمود عباس عندما كرر أكثر من مرة أنه «لن تكون هنالك انتفاضة ثالثة وأنا على رأس السلطة»، لم يكن يعبّر عن مجرد موقف سياسي أو أمنية شخصية، بل كان يعطي تقديراً عملياً مستنداً إلى نتائج سياساته منذ عام 2005 حتى اليوم.

أيضاً، ساد تقدير أمني اسرائيلي في السنتين الماضيتين عبّر عنه التقرير الاستراتيجي لما يسمى «معهد أبحاث الأمن القومي» لعامي 2014 ـ 2015، يصف منفذي العمليات الفردية بـ«الذئاب المنفردة»، وكلمة منفردة هنا لها دلالة سياسية وأمنية، أي إن هذه العمليات تنفذ بدافع فردي غير منظم. ورغم صعوبة التعامل الاستخباري معها، فإنها تبقى غير شاملة، وكذلك تبقى تداعياتها بسيطة. هنا تحديداً تمثلت المفاجأة بالنسبة إلى نتنياهو، فهذا الفعل الفردي استطاع في النهاية تحريك الشارع لينتقل من الفردية إلى العمل الجماعي، وليشمل بقية الضفة ويمتد إلى غزة وحيفا والناصرة. عنصر المفاجأة الأقوى بالنسبة إلى العدو، والذي دفعه إلى ممارسة الإعدام الميداني وتصويره وبثه، تمثل في طبيعة الفئة العمرية الفلسطينية التي كانت خلف مراكمة هذا الفعل الذي تحول إلى انفجار شامل، وهي بين 15 ـ 20 عاماً.

هذه الفئة بالمفهوم السوسيولوجي لا تزال خارج إطار الهموم المعيشية والاقتصادية، أي إنها على هامش النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي تم بناؤه في السنوات العشر الأخيرة، والتغيير بالمفهوم السياسي غالباً يأتي ممن يسكنون هذه الهوامش، لأنهم يتبعون فطرتهم وعفويتهم النقية، بعيداً عن حسابات الربح والخسارة ودراسة الظروف ومدى ملاءمتها، أي إن تحركهم يمكن وصفه بـ«الجنون الجميل»، الذي بغيره لا يمكن صنع المعجزات والتفوّق على الذات وواقعها البائس.

هو جيل في سن الورد، وتفوّق على نفسه وعلى واقع شعبه وقياداته البائسة، فركل برجله أسوار تلك المزرعة السعيدة بما فيها من ذل، وقد اعتقد القادة أنهم أدخلوا الشعب بأكمله إليها، لتنحصر حياته بين الخروج صباحاً سعياً وراء رزقه، ثم يعود في المساء يثرثر وينام محتضناً هزيمته ومنسجماً مع ذلّه. هذا الجيل رقع الثقوب التي أحدثوها في وعي الناس وأسقط الثقافة اللاوطنية التي بدأت تتغلغل في إعلامنا ومقالات جزء كبير من مثقفينا، وهو الجيل الذي بعشرة أيام فقط أخرجنا من فقاعة الوهم ووضع حداً لغسل الأدمغة. خرج هؤلاء الفتية والشباب ليقولوا إن قضيتنا الأساسية وطن محتل نريد استرداده، وليس بحثاً عن دولة في الفراغ. وربما هي سخرية القدر أن تترافق الإعدامات بحق أبناء هذا الجيل مع صور محمود عباس وهو يفتتح شركات اقتصادية ويوقّع اتفاقات تجارية. ليس هناك أكثر من هذا المشهد وضوحاً وتلخيصاً للحالة السياسية الفلسطينية الراهنة. ليس في الأمر مبالغة لو قلنا إن هذه الانتفاضة تستحق أن تسمى عن جدارة «انتفاضة الوعي»، الوعي الذي يخيف الاحتلال أكثر من الموت. لذلك فإن نتنياهو هاجم واحتج عند السلطة على إعادة بث أغاني الانتفاضة الأولى، وعلى ما يقال في مواقع التواصل الاجتماعي، قبل أن يوجعه الحجر والسكين، لأنه لا يريد لهذا الوعي أن يعود. ربما الساسة الإسرائيليون اليوم يفكرون في أنه كيف لجيل لم يعاصر حتى الانتفاضة الثانية أن يستلهم بكل هذه البساطة روح الانتفاضة الأولى ويتخذ من وسائلها وسائل له، وهو الاستلهام الذي يمكن أن نلاحظ آثاره في حديث الفلسطينيين اليوم وانفعالاتهم وروح التضامن بينهم.

لهذا كله، يستهدف العدو هذه الفئة وهذا الجيل، ويمارس ضده حرباً استباقية قبل أن ينجح في إدارة البوصلة الوطنية إلى مسارها الصحيح، لذلك يأتي تصوير الفيديوات لعمليات الإعدام ونشرها كعمل غير عفوي، بل هي سياسة موجهة في الأساس إلى الأمهات والآباء حتى يجبرهم الخوف والرعب على سجن أبنائهم في البيوت.

على الصعيد الداخلي، يجب الحذر من الوقوع تحت وصاية الأحزاب السياسية أو برامجها الكالحة، بل إن استمرار الانتفاضة وتنوّع أساليبها واتساع الفئات المشاركة فيها هو الكفيل بإفراز واقع سياسي جديد، وقيادة محلية جديدة. هنا على الأحزاب وقيادتها التقليدية السير خلف هؤلاء الشباب وتبنّي برنامجهم بعيداً عن منطق الوصاية، فهي الانتفاضة التي عليها أن تسقط أوسلو ثقافياً، ثم إعادة الاعتبار للأولويات الوطنية ولثقافة التضامن والانسجام بين الفلسطينيين. قلنا في مقالة سابقة في صفحات «الأخبار»، قبل أن تنفجر الأحداث بهذا الشكل، إنه تبقى المراهنة على ما بدأ في القدس، وعلى مبدأ تراكم الوعي والفعل. الآن ها هي دائرة الفعل والوعي تتوسع وتتجاوز أسوار القدس، لذا يجب المحافظة على هذه الاستمرارية. الانتفاضة الحالية لن تحرر فلسطين وليس المطلوب منها ذلك، ولكن عليها أن تعيد الفلسطيني إلى نفسه وتعيد إليه وعيه الذي عملوا على تشويهه، ثم ترتيب أولوياته. عليها أن تهدم سياج «المزرعة السعيدة» وذلّها.